مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 07 عدد: 01 السنة: 2021 E-ISSN:2588-2325

فلسفة التحليل النفسي عند ميشال فوكو

The Psychoanalytic Philosophy of Michel Foucault

سعو نبيل*، مركز اللغات والثقافة الأمازيغية، بجاية، nabileprof@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/09/28 تاريخ القبول: 2021/05/26 تاريخ النشر:2021/06/05

ملخص:

بدأ"ميشال فوكو" (Michel Foucault) مشروعه النقدي للمجتمع المعاصر باستخدام آليات ومنهج جديد يدعى" البنيوية "(structuralisme) والذي يرتكز على الحفر الأركيولوجي وجنيالوجيا التاريخ، ولعل غرضه من ذلك هو الوصول لاستنطاق أعماق القضايا، والإشكاليات التي باتت تنخر المجتمعات الغربية، والتي نجد فيها تصاعدا رهيبا، وصيحات الأفراد الذين يشتكون من مدى تدمرهم، وقمعهم المُتزايد الذي فرضته المجتمعات الغربية، وصوبته تجاه أجسادهم، والتي باتت تعاني من مُضايقات، واضطهادات يومية من خلال زجهم في السجون، ودفعهم إلى الجنون، وإذا كانت حالات الجسد تزداد تأزما يوما بعد يوم، فمن الواجب الأخلاقي أن نبني حسب "فوكو" مصحات عقلية، ومراكز تتكفل برعاية صحية (نفسية) لهذه الفئات التي تعاني، بدلا من تدميرها وإقصائها من مجتمعنا، وتهميشها من طرف السلطة، فالواجب إعادة دمجهم، ومن دون شك أن السلطة تملك كل الإمكانيات، والوسائل لتحقيق ذلك.

الكلمات المفتاحية: الجنون، الرقابة، العقاب، الجينيالوجيا، الأركيولوجيا،

Abstract:

Foucault initiated his critical project of modern societies using techniques and a new approach “structuralism”, which is based on archeological digging and historical genealogy. His purpose of this was perhaps to diagnose the different problems infecting modern western societies. These societies are witnessing an increase in the

* المؤلف المرسل

amount of people complaining about the oppression imposed upon them and upon their bodies by societies leading them to prison and insanity. If the states of bodies are worsening day after another, it is an ethical duty to build psychiatries and caring centers for the (mental) health of these categories which suffer instead destruction and exclusion in our societies for they are marginalized by authority, and for this they have to once more include and integrate them for these categories indeed have all it takes for it.

Keywords: body, insanity, surveillance, punishment, genealogy.

مقدمة:

لقد أعاد" ميشال فوكو"(Michel Foucault) النظر للفلسفة الغربية من خلال الاعتناء بالهامش، والأشياء المنبوذة، ولهذا فقد أصبح ينعت بفيلسوف الهوامش، حيث أولى عناية بمجموعة من الإشكاليات التي كان ينظر لها على أنها هامشية على غرار: الجنون، والجنسانية، والرقابة والعقاب، والتي كانت مفروضة في سياسات الأنظمة القمعية في أوروبا، وهو ما جعل "فوكو" يفكر في ضرورة ميلاد العيادة، نظرا لأن السائد في هذه المجتمعات ا هو أسلوب قمع الأفراد، وفرض السيطرة عليهم، في مقابل تغنيها بالديمقراطية، وضرورة حفظ حقوق الإنسان، إلا أن هذه الشعارات حسب "فوكو" ما هي إلا أغطية، وأقنعة تختبئ خلفها هذه الأنظمة، لحفظ سلطتها القمعية التي تحفظ لها البقاء على هرم السلطة؛ ومن هنا يرى فوكو بأننا إذا أردنا أن نكشف عن خلفيات الأنظمة السياسية الشمولية، فإن ذلك يكون من خلال مجموعة من المناهج كالمنهج الجينيالوجيي، ومنهج الحفر الأركيولوجي، للكشف عن الأسرار، والإستراتيجيات اللامرئية التي يستخدمها النظام الرأسمالي المعاصر لإخضاع رعاياه عبر تجديد آليات سيطرته، كما هو الحال في تنويعه لأشكال القمع الجسدي ففي حين يبدو لنا حسب" فوكو" أن الجسد بات متحررا من أشكال القمع السابقة كالتعذيب والتجويع، والتشويه، إلا أن السيطرة عليه لا تزال قائمة حتى في أنظمتنا المعاصرة، بل أن معاناته اليوم أصبحت أكثر خطورة من الماضي، نتيجة لمواجهته للآلة، التي باتت تؤثر عليه، وتخضعه للتبعية، ولأشكال جديدة من السيطرة والقمع. ونتيجة لتطور معاناة الجسد، وللتحولات المعاصرة وجب علينا حسب" فوكو" أن ندفع بالفلسفة، ونقحمها في حقل علم النفس, فعليها أن تنفتح على المجالات الأخرى لكي تحيط بهذه الإشكاليات من مختلف النواحي، وهذا ما نلمسه عند فوكو من خلال انتقاله من الفلسفة إلى التحليل النفسي في تحليلاته للمجتمعات

الغربية المعاصرة. وبناءا على هذا فالإشكال المطروح: إلى أي مدى وُفق" فوكو" في هذه النظرة التحليلية الجديدة؟

وارتأيت معالجة هذا الإشكال من خلال المباحث التالية:

1- تاريخ الاهتمامات الفلسفية بالجسد.

2- الجسد والسلطة.

3- الحفر الأركيولوجي، وجينيالوجيا المعرفة في مواجهة العقل الآداتي الغربي.

4- علم النفس الجديد كأداة وإمكانية لتحرر الجسد.

5- خلاصة.

1- تاريخ الاهتمامات الفلسفية بالجسد:

شهد الاعتراف بالجسد تاريخيا اختلافا من حقبة زمنية لأخرى، واختلافا في موقف الفلاسفة منه، حيث نلمح مثلا استهجانا مبالغا به في الحضارة اليونانية، وذلك باسم الإعلاء من قيم العقل والأخلاق، إذ تم ربطه بمصدر الغرائز والملذات، ولذا فعلى النفس المجاهدة من أجل التخلص منه لترتقي إلى عالم الفضائل، والمُثل العليا التي تليق بالوجود الإنساني، وهذا ما نلمسه عند "سقراط" (Socrates)(740 ق م - 399 ق م) الذي يرى بأن نفس الفيلسوف تزدري جسده بعمق، وتفر منه وتقاومه دائما لتنعزل عنه، قصد بلوغها النقاء والصفاء المعرفي، وإذ كان هذا هو موقف أب الفلسفة، فالحال نفسه في تفكير، ومنهج كل من تلميذيه "أفلاطون" و"أرسطو"، اللذان يعتبران بأن الجسد يُشكل عبئا وثقلا كبيرا على النفس، وقد ذهب "أفلاطون" إلى أن الجسد قبر للنفس بحيث تُدفن فيه طوال حياتها، ولذا وجب عليها أن تجاهده لتقمع شهواته، ورغباته الدنيئة (بيدوح، 2009، الصفحات 12-14).

ولقد عمرت هذه النظرة السوداوية للجسد طويلا حيث امتدت حتى الفترة المسيحية، والتي غذت ودعمت فكرة تحقير الجسد بداعي الخطيئة، وإتباع الأهواء، والغرائز، وفرض عقوبات صارمة عليه إذا ما ارتكب أخطاء، ولم يعرِف الجسد سوى القمع، والسيطرة إلى غاية بدايات الحداثة حيث أنصفه "رونيه ديكارت"(René Descartes) (1596- 1650 م) من خلال إعادة الحلقة المفقودة التي كانت تربط بين النفس والجسد، ليتوج الجسد في الأخير بالوحدة، وهذا ما يظهر في قوله: " إن الإنسان في الواقع

مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 07 عدد: 01 السنة: 2021 E-ISSN:2588-2325

التجريبي وحدة مُطلقة بين النفسي والجسمي، ولا يُمكن في أي حال من الأحوال أن تحدث عملية الفصل بين هما " (زيدان، 1982، صفحة 112).

ولما حاول ديكارت التقريب بين العقل والجسد فقد فتح المجال لتأويلات أخرى للجسد ومن هنا فقد عرف انتعاش، وتجاوز الأطر الضيقة، فها هو مثلا "سجموند فرويد"Sigmund) Freud) يُعيد قراءة الجسد من الزاوية النفسية، أي الأضرار التي يمكن أن يلحقها الجسد بنفسية الإنسان، وهو ما نلمسه في قصة " إليزابيت فون أر "(Elisabeth Von R) الطفلة التي كانت تُعاني من أعراض جسدية، بسبب جسدها "الإستهامي" الخاص والراغب، وقد بدأت أحداث قصتها لما فقدت الفتاة أباها الذي كانت تخصه بالعناية والعطف، وتسعى لإسعاده من خلال التكفل به ومساعدته في العلاج، أما أختها الكبرى فقد كانت تقبع في بيت زوجها، وتنعم بحياتها معه، وهو ما جعل اليزابيث تشعر بانجذاب شديد نحوه، ولكنها عملت على إخفاء شعورها وكتمانه، ولم يشك أي كان في ذلك. غير أنه بعد سنوات أصيبت أختها الكبرى بمرض حاولت كتمانه على الجميع، ولما اكتشفت إليزابيت خبر احتضار أختها، ورأتها مُمدة على فراش الموت تبادرت إلى ذهنها فكرة مفادها أن زوج اختها أصبح الآن حرا، وبالتالي يستطيع أن يتزوجها. غير أن هذه الفكرة قد أثرت على نفسية الطفلة، وسببت لها الكبت والهستيريا، وهو ما جعلها معقدة، مما أثر على جسدها فلم تعد قادرة على الحركة، والإنحناء، وأفقدها حتى القدرة على التذكر، وأصبحت تعاني دائما من انفعالات متكررة (بيدوح، 2009، الصفحات 88-89).

وبهذا الاكتشاف الفرويدي تكون طبيعة الجسد مُتجسدة في تكامله، وقدرته على اقحام الداخل والخارج في وحدة متراصة. أما الفيلسوف الألماني "فريدريتش نيتشه"(Friedrich Nietzeche) (1844م - 1900 م) اعتبر أن الجسد تعبير عن الحياة في بعدها الايجابي، من حيث كونه رمزا للإمتاع والإشباع، وهو ما جعله يصر على الاعتناء، والاهتمام به، ويختزل نيتشه تعريف الجسد في قوله:" أنا ما هو إلا جسدي، وكليتي لاشيء غير ذلك" (نيتشه، 2008، صفحة 75). وبعد أن رجع الجسد إلى الواجهة بعد طول غياب فقد رحل به الفيلسوف الفرنسي "موريس ميرلوبونتي"(Merleau-Ponty) إلى عالم المعرفة، والمقصود بذلك أن الجسد لم يعد يُعبر فقط عن الحياة والمتعة، بل أصبح أيضا نسقا معرفيا جديدا، أمست معرفتنا بحاجة إليه لتكتمل حسب "ميرلوبونتي". فالجسد السحري عنده هو وحدة النفس والبدن، كما يشكل وحدة مع الآخرين، ومع العالم، وبهذا يصبح جسدنا في تكامل وظيفي يؤول من جهتين، أي إمكانية القول: " بأن للجسد عقل ينشط خلفه، أو أن للعقل جسد يتجسد فيه" (ميرلوبونتي، 1987، صفحة 233) فكلتا الحالتين مقبولتين على حد سواء.

وعندما ارتقى الجسد إلى مستوى العقل، وتحرر نوعا ما، أدركت السلطة مدى خطورته ووجوب العودة إلى جحره، وهذا ما حتم عليها حسب " فوكو " اختراع وسائل، وآليات جديدة من أجل اختراقه، وفرضها لمنطق السيطرة والقمع عليه. وبالتالي فالجسد المعاصر أصبح يُعاني منذ أكثر من قرن، فهو يقاوم ضد البرد، والاختناق، والتكديس، والجدران البالية، والجوع، والضرب (فوكو، 1990، صفحة 67).

2- الجسد والسلطة:

إن الحديث عن اثر السلطة على الجسد لا يستقيم إلا إذا عرجنا عن معنى السلطة وأبعادها القمعية التسلطية، ولهذا نجد" فيلسوف الجنون" يتطرق لتحديد مفهوم السلطة من خلال اختزالها في معناها الأتي الذي يعني بداية علاقات القوى المُتعددة التي تكون مُحايثة للمجال الذي تعمل فيه، لذلك فهي حركة تحول القوى، وتزيد من حدتها، وتقلب موازينها بفعل الصراعات المُتجددة غير المُنقطعة، وتشكل السلطة شبح السيطرة لما تتوزع بطريقة غير مُنتظمة، وتخلق بؤر مُشتتة تختلف في الزمان و المكان، و بهذا تشكل في داخلها شقاقا من حيث كونها في بعض الأحيان تنعش حياة الأفراد وتجمعهم، كما أنه في حالات أخرى نجدها تخلق في المجتمعات تصدعا، وانفصاما في الأشخاص لتعيد صياغتهم من جديد وفق مقومات جديدة (فوكو، 2008، الصفحات 105-109) .

وإذا كان الناس يتكلمون عن القمع بشكل متصاعد منذ القدم فيعود ذلك لكون أن القمع راسخ في عمقهم، ولأن له جذوره، وأسبابه المتينة، ولأنه يؤثر على الجنس بشدة، ولهذا يجب علينا أن نتوقع بأن تكون نتائج التحرر من السلطة القمعية بطيئة الظهور، فمثلا عملية التحدث عن الجنس بحرية، وقبوله في واقعه هو مشروع بلغ عمره ألف سنة مُقاومة، ومعارضة ضد السلطة التي تحاول دائما تطوير تقنياتها التسلطية القمعية، لنرى بأنه قد أوقعت الجسد مثلا في غضون القرن 19 م من خلال ترويضه، وتقديمه لزيادة في قُدراته، وانتزاع قواه، ودمجته في أنظمتها الاقتصادية وكل هذا قد أمنته السلطة بفرضها لنظام الانضباط، ويُفسر" فوكو "كل هذا، ويرجعه إلى رغبة السياسة في تشريح الجسم البشري (Anatomo-Politique). وقد امتد أيضا أثر قمعها إلى أقصى بعد حيث أصبحت بإمكانها حتى التحكم في البعد البيولوجي، والصحي (صحة المواطنين، والإنجاب والوفيات) (فوكو، 1990، الصفحات 33, 141).

ولما ارتبطت حقيقة وجودنا بالسلطة المُوجدة له، أمسينا كأننا نستقي وجودنا كموضوع استهلاكي يُتدَاوَل في أجهزة التربية والإعلام، ويتم نقل الأفكار المُحددة لوجودنا تحت جهاز رقابي يتكون من (الجامعات، وسائل الاتصال الجماهيرية)، وكل هذه الأشكال القمعية مغلفة في ثوب يَدعي الحقيقة والتي نجدها في

ISSN: 2437-041X
E-ISSN:2588-2325

نهاية المطاف مرتبطة بأنساق السلطة التي تنتجها، والتي تهدف لاستلاب وعي الأفراد وفرض منطقها الإيديولوجي (فوكو، 2007، الصفحات 70-72).

لهذا نرى بأن ظهور السجون بشكل ملفت للانتباه كان حدثا بارزا في أوروبا نظرا لما يُحققه من سلطة ورقابة للأجساد، حيث أنه أصبح يُعبر عن كونه فيزياء السلطة، وأداتها القمعية التي بها تستطيع أن تفرض وجودها، و تحفظه في الواقع (فوكو، 1994، صفحة 30).

3- الحفر الأركيولوجي وجينيالوجيا المعرفة في مواجهة العقل الآداتي الغربي:

يرى" ميشال فوكو" أن أزمات عصره، وآليات السلطة المعاصرة ليست وليدة اليوم بل تمتد جذورها إلى تاريخ بعيد، ولذلك إذا ما أردنا البحث عن حلول لهذه الأزمات فيجب علينا أن نستعيد تاريخها لنتفحصه بكل دقة، كما يجب أيضا أن نترقب الخطوات والمراحل بكل حذر، ومن هنا نستدرك مدى وجوب الاستعانة بمنهج الحفر الأركيولوجي، وبمنهج الجنيالوجيا، وذلك قصد الوصول الى الحقيقة التي دائما تتخذ اختفاء وتواريا خلف الأحداث التي تُثيرها، وبداية يتوجب علينا تقديم تعريف للمنهج الحفري. فهو كما يعرفه "ميشال فوكو": لا يُنظِر إلى الخطاب على أنه وثيقة،و لا علامة أو إشارة تُحيل إلى شيء آخر، وفيه لا نرى عنصرا مهما بلغ قدرا عاليا من الشفافية، بل نكون فيه في الغالب ملزمين باختراق عتمته وضبابيته حتى نصل إلى ما هو عميق وجوهري فيه، كما تعني في مجال الخطاب أن النص ذاته تعبيرا اثريا لا يراد منه الخضوع إلى تأويلات تعرفه، و لهذا باختصار فالأركيولوجيا ما هي إلا كتابة ثانية؛ وبعبارة أخرى هي وصف منظم لخطاب يجعل منه موضوعه (فوكو، 1987، الصفحات 128 - 129). ووظيفة المنهج الأركيولوجي على وجه التحديد تكمن في البحث عن نقطة الالتقاء والتواصل التي تجمع في الخطاب بين مستواه الإبستيمولوجي ونظيره الوضعي؛ أو بعبارة أخرى دور الأركيولوجيا ينصب في الكشف عن التكوينات الخطابية الوضعية التي تسعى بشكل حثيثي لبلوغ العلم (الكردي، 1992، صفحة 24).

بينما الجنيالوجيا فوظيفتها المعرفية تكمن على وجه الدقة في تقديمنا وإظهارنا للانقطاعات والانفصالات القائمة في التاريخ، ولا تهتم بالتقدم والتطور، بل أصبح شغلها الشاغل الاعتناء بتكرار الأحداث، والإهتمام بالتفاصيل السطحية الصغيرة (فوكو، 2003، صفحة 17).

تعلمنا الجينيالوجيا كيف نتعرف على حوادث التاريخ، وهزاته، ومفاجآته، والانتصارات الهشة، والهزائم غير المُستساغة، والتشديد على الاهتمام بالبدايات، فهذا يُفيدنا لمعرفة أمراض جسدنا، بحيث

كلما تمكنا من فهم حالاته التي تتراوح بين الضعف، والقوة، والتصدع، والمناعة إلا وقفنا على مدى صدق الخطاب الفلسفي المحايث لتلك الآونة (فوكو، 2008، صفحة 68).

وبالمجل فمن خلال مراعاة هذان المنهجان أثناء تحليلينا لتاريخ الفكر الغربي على حد شهادة "فوكو" سنصل لنتيجة مفادها أن الغرب أصبحوا خاضعين بواسطة السلطة لإنتاج الحقيقة، إذ لا يمكنهم ممارسة السلطة إلا بوسطة الحقيقة التي تفرض عليهم الخضوع لأشكال مختلفة من الانضباط وكل هذا يقبع داخل سياسة السلطة التي تتأرجح بين مبدأ القانون العام للسيادة، ومبدأ فرض أشكال متعددة لتحقيق انضباط أفرادها (فوكو، 2003، الصفحات 17-50).

4-علم النفس الجديد وتحرر الجسد :

يبدأ "سيغموند فرويد" الحديث عن الطب السريري بقوله : " لقد رددنا تكرارا بأن (الأنا) بات يَدين في أصله، و أهم صفاته المُكتسبة لعلاقاته بالعالم الخارجي، ولذلك فليس بالشيء العسير بأن نُسلم أن حالات الجسد المرضية تكون نتيجة انقطاع أو ارتخاء صلاته بعالمه الخارجي كما أنه ثمة واقعة تؤكد بأن الخبرة السريرية تعتمد في تفسيراتها لسلوك المريض على حافزان يتحكمان في نشوء مرض الذهان ويتشخصان في مايلي: إما أن الواقع قد غدا لا يُحتمل، ولا يُطاق وإما أن تكون الغريزة قد عضدت تعضيدا هائلا، وهي مُستعدة للانفجار في أي وقت" (فرويد، 1981، صفحة 75).

وهنا تظهر أهمية المنهج البنيوي الذي يترصد ثغرات الشعور، ويُحيل فيها اللاشعور نتيجة كونه يُمثل طبيعة إنسانية لدرجة أنه أصبحنا لا يمكن أن نتطرق بالحديث عن الإنسان دونه، وهنا تكمن ثورة فرويد، وبزوغ المنعرج المعرفي في كل المجالات، و المعارف، ولعله لبلوغ هذا الهدف والغاية المسطرة يُشترط حسب "ميشال فوكو " على "علم النفس" أو الطب الإكلينيكي بأن يجعلا من خطاب اللاوعي يتكلم من خلال الوعي، كما يلزم على هذا الخطاب أن يشتغل من خلال الاعكاس الذي يترصد اللحظات الممتنعة لمعرفة حقائق الإنسان الداخلية (فوكو، 1990، الصفحات 304 - 305).

وانطلاقا من هذا المبدأ نجد "ميشال فوكو" في كتابه: " مولد العيادة"(1963) يُقدم تعريف للطب السريري على أنه ليس بمدونة تقنية علاجية أو معرفية بقدر ما هو عملية لمعرفة الإنسان الصحي وبمعنى آخر فالطب المعاصر بات يُعبر في محتواه عن تجربة الإنسان غير المريض، والتي جعلته يتميز عن الإنسان النموذج (Foucault, 1993, p. 35).

يُلاحظ فوكو بأن لحظة علم النفس الوضعي تبدأ بلحظة نفي حقيقة الإنسان وإقرانها بلحظة اختفائها في اللغة، أو بإقران حقيقة الإنسان النفسية بانعكاسها على السلوكات الإنسانية وعليه فإن مؤسسة الطب النفسي ليست بريئة تماما عما يحدث، أنها متورطة في النظام القائم والمستشفى لم يعد مؤسسة علاجية كما يوحي بذلك اسمها، بل هي مؤسسة برجوازية، والطبيب فيها يلعب دور الحارس في العصر الكلاسيكي، ليقع بالعصر الوسيط ليس في لغز الخيار بين العقل والجنون، و بين الحكمة والوصي على القانون الأخلاقي و القضائي، و هكذا يرى فوكو في علم النفس وطرائق التحليل النفسي على السواء ضربا من الاستبداد الذي يمارسه العقل على الجنون (عبدالنور، 2009، الصفحات 101 - 102) . وخاصة إذا علمنا أن صحة المريض باتت أسيرة الجهاز الطبي المُستخدم للكشف عن مكامن العطب، فالمريض بات بعد الآن ليس هو من يُصرح عن آلامه الداخلية بل أمس يسأل الطبيب من أجل الإدلاء به (bert & Lamy, 2014, pp. 155-158) .

و تدرج الهيمنة على الجسد في السياق الذي تتخذه السلطة على غرار أشكال للحجر الطب-عقلي والاستبداد الطبي الذي تتخذه المؤسسات الإستشفائية طابعا لتكرس في الأخير سيطرتها على الأجساد (ديريدا و ميشال، 2004، الصفحات 34 - 35) باعتبارها أجهزة وظيفية، وتُشكل وحدات غير قابلة للفصل نتيجة تكلُفها بوظائف مُحددة تستوجب بلوغها (Blanchot, 1986, p. 37).

ولهذا يبقى الخطاب الطبي عند "ميشال فوكو" يُعبر عن ضرب من المُمارسات الاجتماعية نتيجة خضوعه لأجهزة السلطة التي تسكنه دوما فيه، ولها للخروج من هذه الأزمة يجب علينا الأخذ بالمنهج البنيوي الذي يحلل لنا الخطابات المعرفية، ويعود بها لبدايات انتظامها" (السيد، 1994، صفحة 165). لذا فعلى هذا المنهج بأن يُبين لنا كيف يُقاضى الإنسان، ويُعاقب تحت صفة الإجرام، و كيف يزج به في السجن، نتيجة عرضه لأشكال مختلفة من أنواع القمع، وهنا نكتشف ألعاب الحقيقة التي تسلك في وجودنا سُبل، و أوجه مختلفة أين تتحايث فيه مع الرغبة، ووجوب الإشباع (فوكو، 1991، صفحة 09).

وإذا كانت الرغبة مرتبطة بشكل وثيق بالجسد فهذا من دون شك ما جعل" ميشال فوكو" يرجع بفكرة الطب الاكلينيكي للحظة لتخلص من الرؤية الأنطولوجية للمرض الجسد، و تعويضها بالرؤية الطبية القائمة على اختزال الجسد في وحدته العضوية، التي نجدها هي الأخرى تتجزء بدورها لوحدات نسيجية، و يعود "ميشال فوكو " بهذا الفعل من حيث بداياته الأولى إلى الطبيب "بيشا" الذي مارس في طبه لعملية التشريح لفهم الجسد الباتولوجي (الكردي، 1992، صفحة 399).

ISSN: 2437-041X
E-ISSN:2588-2325

إلى هنا يمكن الحكم بأن نهاية فلسفة " ميشال فوكو" وتحليلاته برمتها تميل للاهتمام ب (العلاقة) أو(البُنى) من حيث هذه الأخيرة هي من يمنح الموضوعية للمادة، كما أنها تهتم أيضا بالتشكلات المُتعاقبة، وعلى سبيل المثال: فإذا أردنا أن نخضع لدراسة إشكالية السلطة فلا يجب حسبه أن نستهل دراستنا لها من الحدود الأولية المكونة لها : الدولة، والقانون... لكن يجب الشروع فيها انطلاقا من ذاتها، أي بوصفها هي من يُحدد العناصر الأساسية التي تستند إليها (فاين، 1993، صفحة 355). وكذا الحال لمعرفة أسباب "ميلاد العيادة" فلا يجب حسب فوكو الالتفات فقط للعوامل الخارجية: (السياسية، والقانونية، والأخلاقية)، بل يجب إرفاق كل هذا أيضا بمعلومات الجسد ووظائفه التشريحية، والفيزيولوجية أي أن المعرفة الإكلينكية تستدعي الجمع والتركيب (Foucault, 1954, p. 722).

كما أن الصحة التي تعد محور اهتمام الطب المعاصر في حد ذاتها حدثا غامضا، فهي لا تتعلق فقط بالتعافي من المرض، بل هي أيضا دلالة صريحة عن الوجود السعيد للإنسان من الناحية البدنية والأخلاقية .(Lecourt, 1993, p. 158)

5-الخلاصة :

يرى" فوكو" أن إشكال الفكر الغربي المعاصر وأزماته الحادة لا يمكن استدراكها إلا بالاستعانة بمنهج جديد يقوم على اختراق البنيات العميقة، والأنساق المتشابكة التي تخفي في داخلها ايديولوجيات تهدف إلى خلق نوع من الانغلاق في العلم المعاصر، كما أن من سمات المعارف الراهنة أنها لا تهتم سوى بتحقيق المصلحة والسلطة التي بها تستطيع أن تفرض نفوذها على المجتمع الذي اختلطت فيه معاصرا المعرفة بالسياسة، وأغلب شرائحه زج بهم في السجون، أما ما تبقى منه فأغلبهم بات مصيرهم المراقبة، و العقاب، أو اللجوء بهم إلى المصحات العقلية، أين يتم التكفل بهم بتقديم الأدوية لهم، لتُضعف أجسادهم، وتفقدهم السيطرة عليها، ولعل هذا التحامل ضد هذه الشريحة باستخدام الاضطهاد، و القمع تجاههم يعود حسب" فوكو" الى رغبة السلطة في فرض سيطرتها، وإبقاء نفسها دائما على العرش، ومن هنا وجب عليها استخدام أسلوبين متفاوتين في الخطورة، وهما الرقابة و العقاب، حيث بهما تفرض السلطة منطقها التعسفي في كل المجالات المكونة للفضاء العمومي : الاقتصاد، والسياسة، والتعليم، والصحة، والثقافة.... وعندما يشتد الوضع تأزما سوف تنخر هذه الشروخات المجتمع، وتجعل منه حلبة للصراع من أجل المصالح الفردية، مما يقزم من الدولة ويصغرها حتى تصل إلى ملكية فردية تشتغل بأعضاء السلطة فقط وعندما يصل حال المجتمع لهذه الدرجة من الانحطاط، و التخلف سوف لا يكون

هناك أي معنى للتفكير خارج دواليب الايدولوجيا، وحتى الجسد فهو الآخر لم يسلم من أشكال التعسفات الواقعة تحتها على غرار: القمع الجنسي، والجنون،والسجون...

ولعل هذه المقدمات هي من مهدت لإعلان" ميشال فوكو" في كتابه: "الكلمات والأشياء" عن فكرة موت الإنسان نتيجة ارتباط الحقيقة بالبعد الخفي لها، ونتيجة ظهور الآلة التي حلت محله، وفي هذه الحالة لم يتبق لنا حسبه إلا استخدام' البنيوية "وإرفاقها بمنهج الجنيالوجيا، والحفر الأركيولوجي، لكي نُعيد للذات مكانتها في البناء المعرفي لكونها هي من تتفحص التاريخ، وتقوم بتحليل أحداثه بإقرانها بالحاضر، ويجب الأخذ أيضا بعين الاعتبار الجانب الأخلاقي في المجتمع المعاصر، الذي يجب أن نسقطه في القضايا المتعلقة بالصحة، وأما البعد الجمالي المعاصر عنده فهو دائما باديا في اللغة.

الهوامش :

ابن داود عبدالنور. (2009). *لمدخل الفلسفي للحداثة: قراءة في نصوص ميشال فوكو*. الجزائر: منشورات الاختلاف.

السيد ,و .ا .(1994) .*التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو* .دار المُنتخب العربي للدراسات و النشر والتوزيع.

بول فاين. (1993). *أزمة المعرفة التاريخية : فوكو والثورة في المنهج*. القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

جاك ديريدا، و فوكو ميشال. (2004). *مسارات فلسفية*. سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.

سمية بيدوح. (2009). *فلسفة الجسد*. بيروت: دار التنوير للطباعة و النشر والتوزيع.

سيغموند فرويد. (1981). *مُختصر التحليل النفسي*. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

فرديريتش نيتشه. (2008). *هكذا تكلم زاردشت*. بغداد، العراق : منشورات دار الجمل.

محمد علي الكردي. (1992). *نظرية المعرفة والسلطة عند فوكو*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

محمد فهمي زيدان. (1982). *في النفس و الجسد*. بيروت: دار النهضة العربية.

موريس ميرلوبونتي. (1987). *المرئي و اللا مرئي* (الإصدار 2). بغداد: منشورات دار الشؤون الثقافية.

ميشال فوكو. (1990). *إرادة المعرفة (تاريخ الجنسانية1)*. بيروت: مركز الانماء القومي.

ميشال فوكو. (1991). *استعمال الذات*. بيروت: مركز الانماء القومي.

ميشال فوكو. (1990). *الكلمات والاشياء*. بيروت: مركز الانماءالقومي.

ميشال فوكو. (1990). *المُراقبة و المُعاقبة (ولادة السجن)*. بيروت: مركز الانماء القومي.

ميشال فوكو. (2008). *جينيالوجيا المعرفة* (الإصدار 2). المغرب: دار توبقال للنشر.

ميشال فوكو. (1987). *حفريات المعرفة*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

ميشال فوكو. (1994). *دروس (1982،1970)* (الإصدار 1). المغرب: دار توبقال للنشر.

ميشال فوكو. (2007). *نظام الخطاب*. المغرب: دار التنوير.

ميشال فوكو. (2003). *يجب الدفاع عن المجتمع*. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع.

bert, j. F., & Lamy, J. (2014). *Michel Foucault un héritage critique.* paris: éditons CNRS.

Blanchot, M. (1986). *Michel foucault tel que je l'imagine.* éditions Fata Morgana.

Foucault, M. (1954). *Dits Et écrits (1954-1969).* Decelée De Brower.

Foucault, M. (1993). *Naissance de la clinique.* paris: Edition Gallimard.

Lecourt, D. (1993). *Aquoi Sert donc la philosophie : des sciences de la nature aux science politique.* éditions , P .U.F.